التصوير البياني في قوله تعالى: (اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)

قوله تعالى: (أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) [سورة الفرقان 43]

فإن ظاهر نظم الآية مشكل في المعنى، لجواز أن يجعل المؤمن إلهه هواه، أي : محبوبه، فالمحبوب يمكن أن يسمى "هوى" للمحب ، كما قال عروة بن أذينة:

إنَّ التي زَعَمتْ فؤادَكَ مَلَّها * خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقْتَ هوىً لها.

وهذا لا غبار عليه ولا اعتراض ، لكن السياق في الآية سياق ذم لمن هذا حاله ، فقد وصفه المولى – عز وجل – بالضلال في موضع آخر فقال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) (الجاثية: 23) .

وعندما نمعن النظر بعمق في تحديد رتب الكلام ، نجد أن النظم على نحو (اتّخذ هواه إلهَهُ) ، ففي النظم تقديم وتأخير، وعليه نعرب (هواه) مفعولاً أولاً للفعل (اتَّخذ) لزاماً، وعلَّة التقديم؛ لأجل الحصر، فكأنه قال: (أرأيتَ من لم يتخذ معبودَه إلا هواه) فهو أبلغ في الذم والتوبيخ.